مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 5 السنة: 2021
ص: 509 - 527 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

اشتغال خطابات العولمة في الرواية النسائية المغاربية

Globalization Discourses Work in the Maghreb Feminist novel

أمينة حماني *
Amina hamani
مخبر الممارسات اللغوية. تيزي وزو
جامعة مولود معمري. تيزي وزو (الجزائر).
Mouloud Maameri University of Tizi Ouzou (Algeria)
Laboratory Language Practices
hamani.amina@ummto.dz

تاريخ الإرسال:2020/11/09	تاريخ القبول: 2021/06/04	تاريخ النشر : 2021/12/25

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مجموعة من الخطابات العولمية التي تناولتها الرواية النسائية المغاربية، وهي تحاول أن تماشي مرحلة العولمة وتسعى بمشروعية نحو قلب المركزية الأبوية من خلال الحفر في المسكوت عنه، ونبش القضايا العولمية التي تهدف في حقيقتها إلى خلخلة السلطة الأبوية وتقويض المركزية الذكورية، فكيف استطاعت الروائيات المغاربيات التشكيك في السلطة الذكورية القائمة على المنطق الأبوي وإبراز الخلل الاجتماعي فيها وتقزيم الدور الفحولي ومركزة النسق الأنثوي من خلال تبني خطابات العولمة ؟ وكيف تجلت هذه الخطابات وأسهمت في تنويع التيمات والموضوعات الروائية المعالجة في القطر المغاربي؟؟؟.

الكلمات المفتاح : خطابات، تقويض، النسق، الأنثوي، الذكوري، عولمة .

Abstract :

This study aims to shed light on a set of global discourses addressed by the Maghreb feminist novel, as it tries to cope with the stage of globalization and legitimately seeks to the heart of patriarchal centralism by digging into the silence about it, and exhuming global issues that, in fact, aim to disrupt patriarchal authority and undermine male centralism How have Maghreb novelists been able to question the patriarchal authority based on patriarchal logic, highlight the social imbalance in it, diminish the virological role and centralize the feminine system by adopting the discourses of globalization? How did these discourses manifest and contribute to the diversification of themes and fictional topics treated in the Maghreb

* أمينة حماني: hamani.amina@ummto.dz

Keywords: Discourse, Undermining, systematization, feminine, masculine, Globalization

أولا: توطئة:

حملت العولمة تداعيات وتغيرات جديدة مست الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وانتشرت خطاباتها الفكرية على جميع الصعد، والأدب بشتى فروعه أداة تغيير لا تقل أهمية عن الاقتصاد والسياسة والعلوم التطبيقية بفروعها المختلفة، وحين حدث الانفتاح وذابت الحدود بين الدول تأثر كغيره من الظواهر، فأخذ وأعطى ومنحته العولمة رحابة وفسحة فانطلق عبر السموات المفتوحة ليمارس دوره، وفي رحلته هذه تشكل وتغير، فظهرت له أجناس لم تكن معروفة من قبل، فهي نتاج طبيعي لاندماجه مع الأجناس الأدبية العالمية، وتأتي الرواية في مقدمة الأجناس الأدبية التي تأثرت بالفكر العولمي أيما تأثير، فالرواية أداة ناعمة من أدوات العولمة الثقافية.

وفي خضم هذا التحول العالمي حاولت الروائية المغاربية الخروج من السلطة الذكورية المترسخة في المرجعيات الدينية والتاريخية والذهنية والثقافية، وسعت لتقويض النسق الأبوي والذكوري، وكسر تلك القيود المهيمنة وتجاوز السلبية الجنسية والاجتماعية لدور المرأة في عالم المهمشات الجنسية، في ظل هذا العصر المعولم الذي تعايشه الأفراد والجماعات، هذا الاختلال في الخصوصيات والهويات، خلق جملة من الانزياحات والتدخلات التي مست جميع الصعد، وانزاحت الحدود الفاصلة بين جنس وأخر، وغيرت في الأدوار الجندرية، وخلخلت مفهوم الذكورة والأنوثة، فكيف استطاعت الروائية المغاربية تقويض النسق الذكوري؟ واقتحام باب الممنوعات والمهمشات الاجتماعية والجنسانية؟ وكيف أسهمت العولمة في صعود النسق الأنثوي ومزاحمته للمركز الذكوري؟وكيف اشتغلت الخطابات العولمية في المتون النسائية المغاربية؟

ثانيا: ثنائية العولمة والرواية النسائية:

1. رؤى في مفهوم العولمة:

لقد أصبحت المفاهيم تشكل مأزقاً معرفياً لا مناص من تجاوزه، بما يكتنفها من صعوبات أثناء التعاطي معها بأي شكل من الأشكال، وتحسب هذه الآثار على الفكر كما تحسب على الواقع وتجد في سطحية المقاربة وعفوية الممارسة بؤراً لتفشي المغالطات المفاهيمية ونزوع الدراسات والبحوث لتجاوز الغاية

المقصودة منها وحتى من التجرد من الهوية والكُنّه الحقيقي للذات، ولعل النموذج البارز على ذلك ما يفعله مفهوم العولمة في نطاق الأدبيات السياسية والاجتماعية والسياسية.

وفي البداية نود أن نشير إلى أنَّ من الصعب تقديم تعريف جامع ومانع للعولمة، فمن الطبيعي أن يتفاوت فهم الأفراد للعولمة ومضامينها المختلفة، فالاقتصادي يفهم العولمة بخلاف عالم السياسة، كما أن عالم الاجتماع يفهمها فهماً قد يختلف فيه عن المهتم بالشؤون الثقافية، فهناك تعاريف تتفاوت في معانيها ومظاهرها، ومن ثمة ، نحاول أن نقدم بعض التعريفات، انطلاقا من التعريف اللغوي لها.

يعاني مصطلح العولمة من اختلاف منهجي على الرغم من كثرة الدراسات العربية والأجنبية حوله، إلا أن أغلب هذه الدراسات لا تتفق تماماً بشأن تعريف هذه الكلمة، وعموما فالعولمة هي واحدة من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها، ترجمة للكلمة الانجليزية"**Globalization**" ، نسبة إلى كلمة "**Globe** " التي تعني بالعربية الكرة الأرضية، والتي ترجمت بدورها إلى الفرنسية تحت كلمة " **Mondialisation** " نسبة إلى العالم بالفرنسية "**Le monde** "، والكلمتان الأخريان هما الكوكبة نسبة إلى الكوكبي، والكونية نسبة إلى الكون[1] "، والملاحظ أن كلمة العولمة هي الأكثر شيوعاً واستخداماً في الأدبيات العربية من كلمتي الكوكبية والكونية، وفي اللسان العربي يرجعها محمد عابد الجابري إلى:" أنها صيغة فوعلة، ولا يهم ما إذا ما كانت هذه الصيغة قد وردت في كلام العرب أم لم ترد فالحاجة المعاصرة تفرض استعمالها، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى مثل " قولبة" من قولب، أي وضع الشيء في صيغة قالب.... وهي صيغة مصدر لفعل مشتق من الاسم قولبة من قولب من قالب، أي فوعل ــ يفعل، وهنا نلاحظ من فوعل وجود فاعل، ويستعمل الكثيرون اليوم: أسلمة، من أسلم، من إسلام"[2]، وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية.

واستكمالا لما سبق فالعولمة" هي ترجمة لكلمة **mondialisation** الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، والمراقب هنا هو أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وبمراقبة صارمة على مستوى الجمارك: تنقل البضائع والسلع، إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل خارجي كان، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة، أما اللامحدود فالمقصود به "العالم" أي الكرة الأرضية"[3]، فالعولمة إذن تعني إلغاء الحدود القومية.

2. الرواية النسائية والفكر العولمي:

تعد الرواية التعبير الأول عن الحياة و المجتمع في تصوراته وسلوكه وعاداته وأذواقه، ورغم تعدد أشكال التعبير الثقافية وتنوعها، تشكل الرواية الصورة التعبيرية الملائمة لحالة الوعي في المجتمع الحديث والأسلوب المعبر عن قيمة ونمط عيشه، وبحسب ذلك حاولت الرواية المغاربية أن تؤسس لشرطها الذاتي وبنية مخيالها الروائي وفق خلفيات ومراحل مر بها المجتمع المغاربي طيلة ما يقارب العقود الستة الأخيرة من القرن العشرين، والتي كان لها دور في التطور التاريخي والفني والجمالي للرواية المغاربية، الذي أفرزه العديد من التيارات والاتجاهات التي توالت عليها الرواية حسب المجالات على شعوب المنطقة ومرحلة ما بعد الاستقلال وإشكالاتها المختلفة[4].

ومن بين هذه التحديات الجديدة التي واجهتها الرواية المغاربية على وجه العموم والرواية النسائية المغاربية على وجه الخصوص، ظاهرة العولمة، بكل ما حملته من تقاليد جديدة وخطابات متنوعة، أسهمت في تغيرها سواء من الجانب الموضوعاتي التيماتي، وكذا من جانب البناء السردي، وشكلت خطاباتها نوعاً من التحدي للتقاليد والعادات، من خلال النبش في التيمات المسكوت عنها، والمصنفة ضمن الطابوهات، والممنوعات الموضوعاتية في المجتمع المغاربي.

فعلاقة العولمة بالرواية هي علاقة المستخدِمُ بالمستخدِم، فالعولمة سخرت لإيصال أفكارها كل ما وجدته يصلح لحمل الخطابات والرسائل العولمية لتمريرها إلى العالم ككل، فسخرت بذلك الرواية باعتبارها جزءاً من التراث العالمي المقروء، فعملت العولمة الثقافية من خلال الرواية على نزع فتيل التأزم الروحي والعقلي (بل حتى الذهني)، الناجم عن الشعور بالدونية الثقافية وعدم نيل الفرص المشروعة وبخاصة أمام جيل الكتاب المنتمين لفضاء الثقافات الهامشية طبقا لنظرية المركز والأطراف، ويبدو واضحاً لنا أن الرواية تشكل القاطرة الثقافية القادرة على جرّ عربة الثقافة العالمية بسبب النزوع العولمي الطبيعي في تناولها لمسرات الإنسان ومكابداته ، وها هي الروائية المغاربية تسبح مع تيارات العولمة،من تبني خطاباتها في كتاباتها الروائية، من خطاب للجنس وخطاب للجسد، والجسد الأنثوي الممتهن، وخطابات المثلية التي خرجت من بوتقة المسكوت عنه، وراحت تنادي بمكانة لها في حضن العولمة، وغيرها من الخطابات التي وجدت في الرواية النسائية أرضاً خصبة لتمرير سمومها.

ومن ثمة سعت الرواية النسائية المغاربية على اختلاف مراحلها وتوجهاتها أن تبني خطاباً جاداً يحفر في المسكوت عنه، وينيره، ويحاكم الأنساق التي تتحكم في مفهومها للجسد والجنس والمرأة وتشكيل

عوالمه المصادرة وتأييد أحقيته في الوجود، ليكون هذا الخطاب في حقيقته قيمة نقدية صارمة ضد المفاهيم الاجتماعية والثقافية الجاهزة ، لاسيما في زمن العولمة.

ثالثا: تجليات خطابات العولمة:

1. خطاب الجنس المُشكِلُ وتغييب الفحولة:

باتت العولمة تمارس فاعليتها على المجتمعات والثقافات كافة، فأصبحنا نعيش في زمن الخنوثة المشكلة، أو أشباه الأشياء وأنصاف الحقائق، وكان هذا سببه انزياح الحدود الفاصلة بين الأجناس، سواء أكانت أجناساً أدبية أم إنسانية، وكانت النتيجة ظهور أجناس مخنثة على الصعيدين الأدبي والبشري[5]، فعلى الصعيد البشري تختلف مبررات الخنوثة والحدود الفاصلة بين الذكورة والأنوثة، فالخنوثة الجسدية لها مبرراتها البيولوجية الناتجة عن اختلاط الأعضاء الذكورية والأنثوية في شخص بعينه، إذ تجتمع لديه أعضاء الذكورة والأنوثة، فيكون إحداهما ظاهر والآخر مستتر، وهنا يحدث خلل في جنس المولود، فتسمى الأنثى على أنها ذكر، أو يسمى الذكر على أنه أنثى.

فالخنوثة كما قال عنها **مالك شبل** " واقع فيزيولوجي يُميّز الجسد، جسد ثنائي الجنس، لا ينتسب بشكل صريح وواضح لا إلى الذكر ولا إلى الأنثى، إن الخنثى يتأرجح بين الجنسين دون أن يقرّ له قرار"[6]، فالخنثى* هنا هي مزدوجة الجنسية ، إما بطريقة مرضية يولد بها الإنسان ، أو سلوكات منهي عنها، كما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي رواه ابن عباس، والذي يقول: **"لعن النبي صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمسترجلات من النساء"**، ولا تبديل لخلق الله تعالى، فالمخنث هنا " رجل " سلك بمحض إرادته سلوك المرأة من حيث اللباس أو الحديث، أو الحركة، ويتوجب تأديبه على ترك هذا السلوك المذموم دينياً، فالمخنث، الذي لا يشتهي النساء، إذا كان مخنثاً في الردي من الأفعال، فهو كغيره من الرجال، وأصل الاختناث التكسر والتثني، ومنه سميت المرأة خنثى، وتخنث الرجل، سقط من ضعف"[7]، وبفعل التحرر العولمي الذي أعطى لكل مهمش مكانة وأفسح المجال لكل هجين لتصدر الساحة الدولية، سعت الكتابة النسائية هي الأخرى لقطع تذكرتها والمشاركة في مثل هذه المواضيع المحرمة والولوج إلى تلك الفضاءات الممنوعة والتي لم تنبشها أيادي الرجال بعد، فعالجت الروائية موضوعها بتسليط الضوء على معاناة الشخصية المخنثة، ليس من باب اختراق المحظور الديني والاجتماعي والنبش في المكبوتات، بل من باب تقويض النسق الذكوري.

وينفرد نص **طرشقانة** ل**مسعودة أبوبكر** بموضوعه الخاص، وإشكاليته تتأتى من الشخصية المركزية التي تفجرت منها مجموعة الوقائع والأحداث، هي شخصية **مراد الشواشي**، الذي جمع بين طبيعتين متقابلتين على صعيد واحد، فعلى مستوى التكوين الخارجي، يحوز تكويناً ذكورياً وعلى مستوى التكوين الباطني يحوز طبيعة أنثوية، أي أن البطولة في النص حسب قول الناقد **بوجمعة بوشوشة** :" لا تخلص للأنوثة ولا للذكورة، وإنما يستحوذ عليها جنس ثالث، امتزجت فيه الذكورة والأنوثة والتباس الهوية الجنسية بينهما "[8]، فمحت الفواصل بينهما ووضعت صاحبها مراد على مفترق حالين متناقضين اجتمعا في جسد واحد، إذ اجتمعت جينات وخلايا الذكورة والأنوثة، على سبيل المخالفة أو الموافقة لتحققا جنسا طارئا عبر عنه المصطلح الفقهي بالخنثى المشكل.

اشتغلت رواية **طرشقانة** طيلة المسار السردي على شخصية رئيسية مخنثة، خلاف ما كان في الأعمال الروائية التي كان يلمح لهذه الظاهرة تلميحاً فقط، أو يقدم لها دور ثانوي أو دور مساعد، أما هي فتأسست كلها على شخصية إشكالية، تتصارع بداخلها هويتان جنسيتان؛ الذكر والأنثى، فلا هي بالذكر الكامل الذكورة بيولوجيا ونفسيا، ولا هي بالأنثى الكاملة الأنوثة، فهذه الشخصية " تتأرجح بين الجنسين دون أن يقرّ لها قرار، هذا التناقض الوجداني على مستوى الاختيار، هو بمثابة عنصر مكون لشخصيتها"[9]، فالخنوثة الجسدية لها مبرراتها البيولوجية الناتجة عن اختلاط الأعضاء الذكورية والأنثوية في شخص بعينه، إذ تجتمع لديه أعضاء الذكورة والأنوثة، فيكون أحدهما ظاهرا والأخر مستترا، وهنا يحدث خلل في نمو الأعضاء الجنسية الخارجية مما يؤدي إلى الالتباس في جنس المولود، فتسمى الأنثى على أنها ذكر، أو يسمى الذكر على أنه أنثى.

ومن هنا قدم النص شخصيته المركزية تقديماً بيولوجيا محدودا، لكن رغم محدوديته أظهر المفارقة المأسوية بين الظاهر والباطن، هذه المفارقة صاحبت طفولة **مراد** الذي عاش بواكير هذه المفارقة النوعية في جنسه، من خلال حادثة الختان التي لم تمر عليه كما مرت على أترابه من الذكور، رفض القائم بعملية الختان أو المطهر إجراء هذه العملية بسبب وضعيته البيولوجية المتداخلة التي تُنبأ للقارئ بعدم ذكورية **مراد** الخالصة، التي فر منها **حميدة الطهار** قائلاً: **" إنه لا يختن البنات"**[10]، فمن الطقوس المتعارف عليها في المجتمعات العربية، عملية الختان التي تعد الطقس الرمزي لفحولة الرجل ولرجوليته، فالرجولة هي التي تؤثر على بناء الرجل كتفوق اجتماعي، فذكورة الولد حسب **عبد الصمد الديالمي**، أو ذكورة اللوطي لا تكفي لبناء الرجل،" إذ الرجل ليس ذكراً فقط، إنه ذكر يولج ولا يولج ومن أجل تحقيق هذا التمييز بين

الرجل واللارجل، أو بين الذكورة والرجولة، لابد أن تتم عبر تنشئة اجتماعية تمر عبر طقس مرور أساسي يتم بفضله بناء الهوية الرجولية في المجتمعات العربية"[11]، وهو عملية الختان.

وعملية الختان هي " طقس المرور للتعرف أو لاكتساب الهوية الرجولية من الهوية الذكورية، وبما أن الهوية الذكورية مثمنة وممجدة، فإن ختان الولد فرصة احتفال وافتخار، ومن ثم فإنه قطيعة نهائية بين الولد والأنوثة، فالختان هو انتقال رمزي فعّلي للولد من عالم النساء إلى عالم الرجال، وهذا الانفصال هو بداية حصول الولد على شيء من السلطة، وانطلاق التفوق على كل نساء العائلة" [12]، هذا الطقس المقدس الخاص الذي لم يفلح في تجاوزه **مراد الشواشي** ، هذه اللعنة التي رافقته طيلة طفولته، وصولا إلى مرحلة النضج والاكتمال، وقد مرّت كلها و**مراد** يلبس شخصيته المزدوج،"...إذن فهوية الأنثى أو الذكر تتحدد من هذا الطقس المقدس في المجتمعات العربية إضافة إلى ارتباطها بالتنشئة الاجتماعية التي تدعم ذلك من خلال المحيط الاجتماعي، فطريقة التوجيه للطفل في مراحله الأولى هي الباعث في تكوين شخصية الأنثى أو الذكر، وقد أكد ذلك العديد من الباحثين فقد خرج **ستولر** من أبحاثه بأنه حتى البنت التي ليست أنثى بيولوجيا وتسمى المعادل بيولوجيا هذه البنت تنشا وتكد كامرأة إذا عوملت كامرأة بواسطة أهلها ولم يتشكك أحد من نوع جنسها"[13]، وبالعودة لمختلف الدلالات الموجودة في الرواية حول حالة شخصية **مراد** الأنثوية، يتبين للقارئ أنها خنوثة مرضية وليست ادعاء، لأنه من صغره يتصرف كأنثى، كما صرحت بذلك الساردة ففي صغره : **" قادته خطاه حتى مشارف القرجاني خلف صبيان تحرّشوا به، افتكوا منه غذروفه، هبّ أحد زملائه ليقتص له فقد عرف بين أترابه بلين الطباع وطراوة السّلوك حتى شبّهه بعضهم بالأنثى"**[14]، وكان شديد التعلق بجدته ومرافقته لها بعد وفاة أمه **سيمون** ، مما جعله ينشأ وسط نساء العائلة، فكان يرافق جدته لحمامات النساء وحفلاتهم وجلساتهم، فكان قريب بذلك لعلمهن الأنثوي.

ومن جهة أخرى وبالرجوع إلى بدايات خط السرد في الرواية يتبين لنا أن الروائية تفتتح روايتها بوصف لشخصية تتمايل مع أهازيج الموسيقى، فالقارئ للوهلة الأولى وهو يتتبع خط الوصف يخيل إليه أنها تصف أنثى في حفل زفاف تقليدي: **"... برزت القامة في إهابها الأنثوي في بذخ الحلي المذهب، وكان كلما ارتعش الصدر تداخلت الأقراط الطويلة ب لعجار والقلائد والخلالات تتلألأ تحت أضواء مصابيح الكهرباء....كان الوجه غائب الملامح في الظلال يخاتل الأنوار، غير أنه لم يكن بالعسير على من يجلس بمنأى عن الحلقة أن يلحظ أحمر الشّفاه الكثيف الصّارخ والكحل**

الدّاكن حول العينين والهالة بلون البنفسج حول الأجفان، ثم ينحدر البصر مع الكمّين الأبيضين من" الدانتيل" سيحتار في حصر عدد الأساور والخواتم التي تزاحمت في كرنفال غجري..."[15]، كان مشهد العرس هو تمهيد للحالة التي يعانيها **مراد الشواشي** الشخصية المخنثة في الرواية، فتعلقه بالملابس النسائية وحبه للزينة والرقص وإبداعه فيه، ينبع من ذات أنثوية دفينة خلف هذا الجسد المخنث.

ونتيجة لهذه الشخصية المعقدة والازدواجية التوجه يشكك **مراد الشواشي** في فحولة ورجولة الجميع ويتساءل ماذا تعني الرجولة بعد أن استطاعت المرأة القيام بكل الأعمال التي كانت من اختصاص الرجل ليكتسب مفهوم الرجولة؟ ألا تعود جذور هذا التفريق الحاد بين المذكر والمؤنث إلى وعي الموروث الثقافي العربي الذي يأبى الاستجابة لكل التطورات التي طرأت على الحياة العربية ذاتها بما يجعل هذا الوعي يمثل ازدواجية، تفجر الرواية عبر شخصية **مراد الشواشي** قضية الرجولة في مقابل الأنوثة، وإمكانية التعامل معها من منطلق الحريات التي تتبناها الشخصية العربية ظاهريا وتدعو إليها، وهو ما يفتأ **مراد** في طرحه ومناقشته مع ابن عمه أستاذ الفلسفة مناقشة تنم عن وعيه وقدرته على الاختيار حتى لو كان ذلك سيحدث صدمة للجميع[16]، فيقول: **"...أتعتبر رجولة أن تطرق بابي في آخر الليل وتدلق على رأسي همومك الفارغة التي نعرفها جميعا وحفظنا فصولها، فلا تحاول تلميعها من جديد، قل إنك جئت لغرض واضح بدون مراوغة ...نساؤكم تعرض عنكم فتبحثون عن عزاء في دفء مراد...مراد لا يريدك الآن...مراد يريد أن يختار..."**[17]، في هذه المقاطع مواجهة مباشرة بين الشخصية المخنثة التي تدرك حالتها النفسية غير السوية و رجل من **أل الشواشي** يدّعي الرجولة والفحولة التي يدافع عنها ويقف هو الآخر في مواجهة تصحيح الهوية الجنسية التي يريدها مراد، مع علمه بحالته، لكنه يستغلها لحاجته ولإشباع حاجاته، فهذه ليست رجولة بل غياب مطلق للرجولة.

وإذا عدنا إلى تتبع الهوية الرجولية كما عرفها عبد **الصمد الديالمي** وأعطاها رمزاً للمرور وهو الختان، فنقول أن **مراد الشواشي** لم يجتزه، ومن ثم هو لا يملك هذه الهوية الذكورية التي يتحدث عنها الجميع ويمجدها الجميع، فمن حادثة الختان مروراً بذوقه الأنثوي في كل شيء وصولا لرغبته التي لا يشتهي النساء فجسده عاجز عن الدخول في علاقة طبيعية مع أي أنثى، إذ إنه" **لم يهتز في حياته لأنثى إطلاقا، فبقدر ما هو قريب من عالمها، ينفر من فكرة مضاجعة أنثى"**[18] ولا يميلا لهُن، وهذا يدل على الخنوثة الحقيقية والرجولة المغيبة.فالجسد في رواية طرشقانة يظهر متنوعا مضطربا متصارعا، أنثوياً تارة، ذكورياً تارة أخرى، ومسخاً مرات عديدة[19].

لقد خالف **مراد الشواشي** كل ما هو قار في وعي الثقافة العربية حول مفاهيم الرجولة والجسد، والتي درجت على تأكيد مفهوم الفحولة الجنسية لصالح الرجل، ونبذ الانحناء بكافة أشكاله وارتباطاته الجسدية والاجتماعية والسياسية، غير أن الرواية إجمالاً تدعو إلى إعادة التفكير في كل هذه الأمور من منطلق وجهة نظر مراد وأمثاله في المجتمع العربي عموماً، وهذا يدل على النظرة الجديدة التي تدعمها العولمة الجندرية، من خلال قلب موازين الهوية الجندرية والهوية البيولوجية فيما يعرف بالجنسانية العولمية التي تجاوزت المفهوم الجنسي إلى الجنوسية .

وعطفا على ما سبق، نقول أن الخنوثة في رواية **طرشقانة** مُشكلٌ ينتظر الحل، وأفق صراع لا يحسمه إلا الاختيار، والتجديد النوعي القائم على هوية جنسية _ اعتداد بالمسائل البيولوجية_ واضحة، وثابتة ومستقرة، ونهائية، ينتج عنها هوية نوعية واضحة، وعلى الرغم من وضعية الخنثى في المجتمع وضعية طبيعية، واحتمالية وجوده احتمالية مؤكدة في كل المجتمعات، إلا أن الثقافة الذكورية التي لا ترى الأشياء إلا عبر ثنائية متضادة مركزها الذكر، ترفض مثل هذا الوجود للخنثى على أساس طبيعته النوعية، فالطبيعة المراوغة لخصائصه النوعية تقوض الوجود الثنائي الذي تقوم عليه هيمنة الذكورة، التي تتبدى عبر قطبية واضحة مع الأنوثة، تتموضع فيها هيمنة الذكورة وايجابياتها مقابل سلبية الأنوثة، ومن هنا يخلخل ازدواج صفات الذكورة والأنوثة في الخنثى تضاد هذه الثنائية القطبية، ففي كل ثنائية عمياء لا يرى فيها طرفها المهيمن سوى الطرف الآخر المهيمن عليه، يصبح الاعتراف الضمني بطرف ثالث أو أطراف أخرى قد تجمع خصائص الطرفين تقويضا للمبدأ الثنائي ذاته، ومن ثم يكون الاختيار والبحث عن حل وعن سبيل للخلاص هو المفارقة التي حملتها لنا الروائية **مسعودة أبو بكر**، بغض النظر عن التداعيات الاجتماعية التي سيخلفها هذا القرار، سواء على الصعيد الأسري، أو الصعيد الاجتماعي.

2. خطاب المثلية وصدمة الفحولة:

مما لاشك فيه أن العولمة بكافة أشكالها تؤدي إلى تعميق مفهوم الحرية الشخصية والاجتماعية وتقوية النزعة الأنانية لدى الفرد، وهذا بدوره يؤدي إلى التساهل مع الرغبات والميول الجنسية، والجنسمثلية، مما أدى إلى انتشار الإباحية والتحلل الخلقي وخدش الحياء، وتشويه الفطرة الإنسانية، وفي هذا السياق كانت الروائية العربية أكثر جرأة عندما سبقت الرجل، وخصصت روايات كاملة للحديث عن المثلية الجنسية، فهاهي الروائية **فاتحة مرشيد** تضع لنا في خضم أحداث روايتها **" لحظات لا غير"** صدمة الرجل العربي/ المغربي بالمثلية الجنسية أو السحاقية، وبالأخص الممارسات السحاقية التي اعتبرها

البطل وحيد، أول صفعة وجهتها له امرأة، واعتبرت بأنه ليس ضرورياً لحياتها الجنسية، فهي صفعة لرجولته الشرقية.

وهاهي العولمة تنجح في إبعاد الرجل عن المرأة وعن حياتها الجنسية، بدعم الممارسات المثلجنسانية، من اللوطية والسحاقية، حيث ترفض الفتاة الباريسية علاقة الحب التي عرضها عليها **وحيد**، وتبرر ذلك بقولها إنها سحاقية تحب صديقتها التي تقاسمها الشقة، هذه الصدمة التي لم يعتقد يوماً أنها ستكون بديلاً له وهي التي كان مطمئناً بوجودها معها، قبل أن يكتشف المصيبة العظمى: **" تقول لي باكية، إنها آسفة جداً...وإنها تعزني كثيراً... وأنها لم تصادف أبداً صديقاً مخلصاً مثلي...ولكنها سحاقية ...تحب صديقتها التي تقاسمها نفس الشقة"**[20] ، جاءت صدمة **وحيد** بهذا الخبر كبيرة جداً، وهو الذي كان يعتبر المثلية أفظع شتيمة توجه لرجل في مراهقته، ولم يتصوراً يوماً أن النساء يمكن أن تستغني عن النساء بالنساء، فيقول: **" كانت أفظع شتيمة توجه للرجل هو نعته بالمثلي"**[21]، هذه الصدمة التي فضل **وحيد** لو كانت خيانتها له مع رجل آخر، حيث اعتبر المثلية هي مساس برجولته وفحولته الشرقية التي وقفت عاجزة أمام امرأة فاتنة ورقيقة، لم تحرك فيها ساكن، بل كانت مجرد جسد **" موديلاً لفنها التشكيلي، فضل وحيد، لو نافسه فيها رجل، لو اهتزت رجولته بطريقة أخرى" أحسست وأنا الفخور برجولتي وبفحولتي الشرقية عدم جدواها، أمام امرأة فاتنة رقيقة"**[22]، أقسى ما قد يحصل للرجل العربي هو أن تمس رجولته، هذه الرجولة التي فضل لو أنها تعرضت للخيانة على أن تدنس بهذه الطريقة المهينة:**" ربما كان ألمي سيكون أقل لو كانت تحب رجلاً آخر، ففي هذا اعتراف ضمني برجولتي، كان سيكون لي ترف الغيرة...إذ كيف لي أن أغار من أنثى"**[23] ، كان الرجل الآخر أو الآخر من نفس الجنس أقل ألماً لدى وحيد من منافسة الأنثى، هذه الأنثى التي كان ممتناً لوجودها، فهي التي كانت المانع لعدم تردد الرجال/الذكور لشقة صديقته الباريسية ماري، ولجهله أو لبداوته كما وصف نفسه لم يكن يعلم أنها أشد خطورة من الذكور، من تردد الرجال لشقة صديقته.

لقد عرف عن باريس ونساء باريس بالانفتاح العولمي، وتعدد العلاقات الجنسية مع الرجال، لكنها باريس الحرية، مهد العولمة تفصح عن انفتاحها الجنسي الجديد والقديم المعلن عليه السحاق المثلية السحاقية، ولكن بداوة **وحيد** حالت بينه وبين معرفته بهذه الممارسات الجنسية غير السوية فيقول: **" يا لغبائي...أنا البدوي، كم كنت مطمئناً لكونها تعيش مع صديقة، ولا يتردد على بيتها أصدقاء من جنس الذكور، كانت هذه أول صفعة وجهتها إلى امرأة: لست ضرورياً لحياتها الجنسية"**[24].

فكانت صدمة **وحيد** أقسى درس لقنته له باريس الحرية، باريس العولمة، وهو الاختلاف الذي لم يكن يعلم عنه سوى أنه شتيمة في مراهقته، متناسيا أنه في بلد الحريات، وهو طالب في شعبة الفلسفة، بالسوربون، تعلم الاختلاف الجنسي والاختلاف في الرغبة، وتناسى أن يتعلم فلسفة الاختلاف الحقيقية، فلسفة الحرية المطلقة التي تحمل رايتها العولمة وتلوح بها في كل أرجاء العالم، وهو البدوي الذي فضل غيرته من بني جنسه، على أن تتفوق عليه امرأة، ليس في أمور حياتية، بل في فحولته الرجولية، ليصرح قائلا: " **هذا كان أول درس لقنته لي مدينة الجن والملائكة: الاختلاف، درس أفادني كثيراً، وأنا طالب في شعبة الفلسفة بالسوربون، تعلمت كيف أناقش كل شيء بدءاً من المسلمات دون أن أصدر أحكاماً مسبقة وأن أتقبل الرأي الآخر**"[25]. لكنه نسي أن يتخلى عن الأحكام المسبقة التي تقوض دور المرأة وتقزيمها، وترفع من رجولته التي تشبع بها حد الثمالة في مجتمعه المشرقي/المغربي.

وتطرح الروائية قضية مشابهة للسحاقية التي تعرف عليها في باريس الحريات، ولكن هذه المرة ليست القصة في بلد الحرية بل في أقصى البلاد العربية، في قلب العالم العربي، بلد طمس الحريات، قصة لصديقة للطبيبة **أسماء** التي طلبت الطلاق من زوجها الذي ضبطته متلبساً مع صديق له في وضع مشبوه، مخل بالحياء في غرفة نومهما، فتروي **فاتحة مرشيد** القصة على لسان الطبيبة **أسماء**، شخصية محورية فتقول: "**باحت لي إحدى صديقاتي مرّة وأنا اسألها عن سبب طلاقها من زوج عاشت معه خمس عشرة سنة، وأنجبت منه ثلاثة أطفال، أنها قد ضبطته مع صديقه في وضع مشبوه بغرفة نومهما، وأنها تمنت ساعتها لو ضبطته مع أنثى...ربما استطاعت أن تسامحه وتستمر معه...** "[26]، تتقاطع قصة صديقة الطبيبة **أسماء** إلى حد بعيد مع قصة **وحيد** و **ماري** الباريسية. فالمثلية الجنسية، السحاقية أو اللوطية، هي بمثابة إهانة لمعاشر الرجال ومعاشر النساء على حد سواء، فالخيانة مع الجنس الآخر، تغتفر وتمنح للغيرة فرصة للتبرير، لكن أن تكون مثلية وممارسات جنسية غير سوية، فهي خيانة للإنسانية وللطبيعة وللجنس البشري ككل.

كانت ردت الفعل متشابهة من تفضيل الطرفين للفطرة السوية، وللخيانة على المثلية، فيقول **وحيد** إن الخيانة تؤلم، لكن لا تصل لخدش الرجولة، بقوله: " **ربما ألمي سيكون أقل لو كانت تحب رجلاً آخر، ففي هذا اعتراف ضمني برجولتي**"[27]، وفي نفس السياق جاءت ردة فعل الزوجة على لوطية زوجها وممارساته الشاذة التي " **تمنيت ساعتها لو ضبطه مع أنثى ربما استطاعت أن تسامحه وتستمر معه...لكنها شعرت أن خيانتها لم تكن لها وحدها فقط بل كانت خيانة لكل نساء**

العالم..."[28]، فاهتزت هنا تلك الثنائية الخالدة ، ثنائية الأنوثة والرجولة بفعل المثلية الجنسية، التي لا تنتمي لا إلى صف الذكورة/ الفحولة، ولا إلى صف الأنوثة، فالذكورة كما الأنوثة تبرأت من المثلية، سحاقية كانت أم لوطية.

فالشخصية هنا وموقفه من هذا المشهد المثلي/السحاقي، هو بمثابة إهانة للرجل العربي الفحل الذي يحمل من إرث القبيلة ما يجعله يفضل الموت على أن يصبح عاجزاً جنسياً أمام امرأة، " **فكيف ترفضه هذه المرأة وتفوت عليه فرصة إثبات قدراته الرجولية، كيف تحسسه بعبثية عضوه الذي يبرر دونيتها بانعدام هذا العضو لديها**..."[29]، لقد قوضت العولمة بفضل خطاب المثلية ودعمها اللامتناهي لها من فحولة الرجل العربي، الذي يعتز بفحولته الشرقية المتوارثة أباً عن جد، وجعلته صاغراً وعاجزاً أمام هذا المدّ الانفتاحي العولمي ، وهو في بلد الحرية، الغرب المنير، بلد الفردوس المفقود، وهو الذي كان لا يغفر في بلده حتى الخيانة.

وفي السياق نفسه تضيف الروائية على لسان الطبيبة **أسماء**، أن ما نعتبره نحن هنا في العالم العربي/المغاربي، حالات شذوذ هي في الواقع تمارس حياتها الجنسية في خفاء عن هذا العالم، ولكن ستظهر عاجلاً في شكل تصدعات في مؤسسات الزواج، فترى أن هذه الحالات التي "**ندعوها شذوذاً، فهي تمارس حياتها الجنسية في سرية معتمة وتجد لها وضعاً اجتماعياً مقبولاً كالزواج مع الجنس الذي ترفضه جنسياً، فمؤسسة الزواج بمجتمعنا تصلح لأكثر من تنشيط ممولي الأعراس وتجديد النسل**..."[30]، وهذه نتيجة من نتائج العولمة، وهي تصدّع المؤسسة الزوجية من جهة، وتصدّع وانحراف الحياة الشخصية، كما وقع للأستاذ **وحيد** الذي بقي تحت تأثير الصدمة السحاقية، التي اعتبرته عاجزاً وفضلت عليه بنات جنسها، هذه العلاقة التي دفعته للخوض في عدد لا متناه من العلاقات ليثبت من خلالها رجولته التي اهتزت برفض **ماري** السحاقية له، فيقول: " **دخلت دون جهد ودون أن أدري كيف في علاقات متعددة، متحررة، قصيرة وبلا وعود، أصبحت قناصاً أتقن فن المطاردة، فن الغواية، وفن الانسحاب...كمن يحاول أن يبرهن لنفسه عن شيء**"[31]، ومن خلال هذا العدد الهائل من العلاقات الجنسية مع عدد كبير من النساء، حاول الأستاذ وحيد أن يبرهن لنفسه أنه ليس عاجزاً جنسياً، وأن الاهانة والصفعة التي تعرض لها من قبل **ماري** السحاقية، يستطيع أن يعوضها في نساء أخريات و لكن أنّى يكون له ذلك، وقد بقيت **ماري** السحاقية غصة في صدره، فبحث عنها في كل النساء اللواتي قدمتهن له " **أنا أبحث عنها في كل النساء، أدمنت الجنس، أصبحت محترف سرير مثله، أعاني**

من فراغ مهول بعد كل امتلاء، كانت كل النساء ولا واحدة" [32]، صدمة الفحولة والعلاقات السحاقية، غيرت مسار **وحيد** الأستاذ المجتهد لتجعل منه، مدمن جنس ومحترف سرير، لينتقل إلى الخمر وعالم الضياع، فالفحولة والرجولة عند الرجل الشرقي/المغربي هي كل شيء بالنسبة له، وهي إهانة لكرامته، وهكذا نجحت العولمة في زعزعة الشخصية العربية و فكرة الفحل العربي.

3. خطاب الجسد وتقويض النسق الفحولي:

سعت العولمة إلى خلخلة الأدوار الاجتماعية السائدة وإلى ضرب الأسرة التقليدية وإلى فرض علاقات وتطبيعها في المجتمع، وهذا ما فعلته بالجسد الأنثوي الذي لعبت به كما شاءت وغيرته كما يحلو لها، وأخرجته من الحجب إلى المفضوح، وهاهي تحاول قلب أطراف المعادلة بعد أن كان الجسد الأنثوي السلعة التي تباع للمتعة نظير مقابل مادي، والمفعول به والمشتهى، أضحى الجسد الذكوري في المجتمع الاستهلاكي السلعة التي تباع للمرأة والمفعول به، بعد أن كان فاعلاً، والمطلوب والمشتهى من قبل المرأة التي تشتري جسده بعد أن كان جسدها سلعة، ويتبين ذلك من خلال المقطع الذي وظفت فيه الروائية **فاتحة مرشيد** في رواية **مخالب المتعة** على لسان السارد أفعالاً ماضية تدل على صيغة الأمر، تبين موقع عزيز المفعول به وليلى الفاعل: **"استفسرتني عن طبيعة شغلي ...دعتني لشرب كأس على البحر قصد التعرف على بعضنا أكثر...وهكذا وجدتني عندها في الفيلا التي عرفتها، كل شيء مر بسرعة، الكأس، التعارف وممارسة الجنس، وعندما ودعتني عند محطة القطار دست في جيبي ألف درهم، صعقتني المفاجأة، لكنها، قالت بلطف شديد: لا تكن غبياً، أنت عاطل، كل شيء بثمنه"**[33]، انتقل الجسد الأنثوي من مفعول به ومن مساحات الضعف والتهميش إلى عنصر فاعل مختفياً بأنوثته ومعبراً بكل قوة عن شهواته ورغباته وحقه في التلذذ بجسد الآخر، وامتهانه أحياناً، فكانت ليلى في رواية **" مخالب المتعة"** هي من تسن القوانين والسنن لأنها الفاعل، صاحبة المال، والمحرك الرئيسي في هذه اللعبة الجنسية، فوضعت شروطها مسبقاً لعزيز: **" أوضحت منذ البداية أن الأمر لا يتعدى كونه مشروعاً جنسياً صرفاً، وأن لا رغبة لها في علاقة تعطيها الإحساس بالضعف، أنا أتفوق عليها كوني أصغر منها سناً بكثير، وهي تتفوق علي بما لا أمتلكه: المال، لهذا هي تصر على دفع الثمن حتى تحس بنوع من التوازن، هي امرأة واقعية جداً، قالت كذلك إنها تعلم أن جسدها رغم كل الرتوشات لم يعد له رونق الصبا وريعانه لذا تفضل أن تشتري، شأنها شأن الرجال الذين يفضلون الفتيات الصغيرات"**[34]، صورت لنا الروائية الجسد الذكوري الممتهن من طرف المرأة التي تسعى لامتلاكه لتحقيق

المتعة والإشباع الجنسي والعاطفي، والتحول من موقع المفعول به إلى الفاعل المتفوق على الذكورة وسلطة النظام الأبوي الثقافي، الذي سعت العولمة جاهدة لزعزعته ،

وما قدمته لنا الروائية يوضح ويبرهن على ذلك، فمن خلال الشخصيات النسائية في الرواية تجسد كيفية تقويض وتشويه الدور الأبوي/ الرجولي، فمنحت العولمة للأنوثة ما لم تمنحه للذكورة من سطوة مادية وجمالية ومعنوية في مقابل، إظهار الضعف الرجولي، من خلال إظهار الضعف والحاجة إلى المال، مما يؤدي إلى الشعور بالمهانة والدونية، فأضحت العلاقة الجنسية التي كانت مقدسة، مشاريع حسية جنسية، وعاطفية محسومة مسبقاً/سلفاً، ف**عزيز** الخبير في مجال المشاريع الجنسية الرجالية، يحاول توسيع العمل، لتعم الفائدة صديقه **أمين**، الذي يسعى جاهداً لإدخاله ضمن هذه الشبكة المشبوهة، شبكة الربح السريع، وبيع الجسد...محافظاً على الإرث الرجالي الراسخ وعلى فكرة الفحولة المطلقة حتى في سوق الجسد، سوق الدعارة الرجالية، بترديد شعار، الرجل لا يعيبه شيء:**" أنت الرجل...أتفهم ما معنى الرجل؟ لن يعيبك أحد، أن تعطي المتعة وتستمتع بدورك، وتتقاضى أجراً لا يستهان به"**[35] ، فالأمر لا يتعدى كونه مشروعاً جنسياً صرفا.

يحاول **عزيز** إقناع صديقه **أمين** بالعمل في مجل تجارة وبيع الجسد، وكأنه مشروع تجاري من المشاريع التجارية الشبابية التي تدر لأموال، وهي مضمونة الربح، فيمهد له الطريق،**" معذرة، إن كنت قد جرحت كرامتك، لكن اعلم أنك لن تكون أول ولا أخر من تقاضى أجراً على متعة، ما رأيك في الأزواج الذين يعيشون عالة على زوجاتهم، أليست هذه دعارة مشروعة"**[36]، يحاول عزيز إقناع أمين بالعمل في الدعارة الرجالية، أو بيع المتعة من خلال سرد حجج وأدلة على أن العمل الجنسي وبيع الهوى موجود من قبل وأن الحالة الاجتماعية هي التي تدفع إلى ذلك.

هنا يظهر الفكر العولمي، الذي ينمط كل شيء ويجعل من القضايا المسكوت عنها والتابوهات أموراً عادية من خلال الحديث والجهر بها، وإخراجها من دائرة المحرم، إلى دائرة المتداول والكل يبحث عن مصالحه الخاصة بغض النظر عن القيم والعادات التي أصبحت في زمن العولمة بالية، فجاءت رواية **مخالب المتعة** تحمل شيئاً من التعارض بين إجبارية العرض الجسدي بداعي الربح السريع، والحاجة إلى الإشباع الجنسي بداعي الحرمان، فحينما يتعلق الأمر باللذة توضع الأجساد البشرية في منطقة معتمة، وكل خروج عن السنن الثقافية ينبغي أن يكافأ بعقاب، وهذا ما حدث للجيغولو إبراهيم الذي قتل عشيقته ودخل

السجن، من فرط التعلق بها، بعد أن كان بالنسبة لها مجرد سلعة ووسيلة لإشباع شهوتها، مقابل مبالغ مالية.

جعلت الروائية في **مخالب المتعة**: الجسد تيمة وعلامة ورمزاً، وصورة لمختلف التأويلات التي تكشف عن القضايا والأفكار التي شغلت بالها، ما جعل نصها يرقى إلى نسج خطاب بؤرته الجسد، ومن ثم تحول الجسد في **مخالب المتعة** من مسكن للروح إلى علامة تتكلم، تشارك تتفاعل، وتدافع عن هوية صاحبها، إنه كل وأجزاء في الوقت نفسه، إنه يولد معطى انفعالياً وغريزياً وثقافياً عاماً، ولكن هذا المعطى، لا يدرك إلا من خلال الأجزاء، ولا يستقيم وجود هذه الأجزاء، إلا من خلال اندماجها ضمن هذا الكل الذي هو الجسد، فسعت الروائية إلى تقويض النسق الفحولي وصعود النسق الأنثوي، هذا النسق الذي أصبح "موضوعاً للعديد من النظريات الثقافية والفلسفية والاجتماعية"[37]، وهو بذلك ورقة رابحة للعولمة تستعمله كيفما تشاء وتقلبه كما تحب، لا سيما أنَّ العولمة جعلت من المرأة وجسدها سلعة تباع وتشترى وبها تروج السلع والمنتجات.

ومهما اختلفت الرؤى وتعددت اتجاهات العولمة فإن الأمر الذي لا جدال فيه ولا اختلافا أنها أصبحت أمرا واقعا، وأنها فرضت العديد من التحديات، خاصة بفعل الفضاء المفتوح وزوال الحواجز والحدود الثقافية، وبداية تشكل نظام اجتماعي عالمي يحدد معالم القيم واتجاهاتها، وأن الروائيات اللواتي خضن في مواضيع إشكالية، وطرقن أبواب المحظور الجنسي والسلوكي والاجتماعي فعرفت بذلك الكتابة النسائية قضايا لم تكن تطرح من قبل ومواضيع ظلت في الظل، ولكن بتبنيها للخطابات العولمية، خرجت من النسق الضيق والسير ذاتية إلى مزاحمة الآخر و تقويض النسق الذكوري من خلال إدراج قضايا مثل المثلية الجنسية والتحول الجنسي وكذا الدعارة الرجالية أو امتهان أجساد الرجال من أجل المال وهروبا من البطالة، هو في الحقيقة إتباع أعمى للأفكار العولمية وليس فقط التخلص من السلطة الأبوية.

رابعا: الخاتمة: الفكر العولمي وصعود الصوت النسائي

حملت الرواية النسائية قضايا لم نشهدها من قبل، فقد تطرقت لمواضيع وقضايا ، أقل ما يقال عنها إنها طابوهات، ومن المحرمات التي يُخشى الاقتراب منها، وبقيت هذه القضايا رغم وجودها في الأدب منذ القديم حبيسة الكتب التراثية والقديمة، إلى أن جاءت العولمة، فطفت بفعلها كل المهمشات وعلى رأسها المهمشات الجنسانية كنوع من الحرية العولمية، وكنوع من زعزعة القيم والغزو العولمي للمجتمعات المغاربية، وهذا بالضبط ما تحاول العولمة تكريسه من خلال خطاباتها ، فخطاب العولمة ناتج عن السلطة

الأولى في العالم، وهي التي تملك مقاليد القوة والهيمنة، وخطاب العولمة هو عملية تعكس إرادة الهيمنة على العالم وأمركته بهدف تعميم الأسلوب الحضاري الثقافي الأمريكي على بلدان العالم أجمع، فهو خطاب يسعى إلى تكريس سلطة الهيمنة ونموذج استهلاكي مسيطر تكون فيه مصالح القوى الثقافية والاقتصادية والعسكرية الكبرى هي الآمر الناهي على هذا الكوكب، وهذه السلطة والهيمنة تكون بتسخير المنجزات التقنية والوسائل الاتصالية والمعلوماتية والإعلامية لفرض نمطاً واحداً على العلم باعتبارها المصدر الوحيد للمعرفة، ووجدت العولمة في الرواية النسائية الطريق المعبد لذلك، فجعلت من مطالب الحرية و الصراع الذكوري والتصدي للسلطة الأبوية حجة لاستغلال خطابات المرأة المغاربية، لتمرير رسائلها و سمومها، وإباحيتها، وتنميط كل ما من شأنه أن يمس الأسرة المغاربية و المرأة بشكل خاص.

تبقى المرأة المغاربية أسيرة السلطة الذكورية مهما حاولت الروائية تقزيمها أو تشويهها لاستنادها إلى مرجعية دينية وتاريخية وذهنية وثقافية تحضنها ضد كل تقويض أو الخضوع لمتغيرات زمنية وفكرية وبذلك يظل الوجود الأنثوي مرتهن بالانقياد لإدارة الذكر والتعايش معها، مهما كانت هذه الإدارة مهزومة أو ضعيفة تخون ذاتها وحريتها، رغم محاولات الروائية المغاربية كسر سلطة النسق، وتجاوز السلبية الجنسية والاجتماعية لدور المرأة في عالم الجنس والممارسة، هذا بدوره فضح تقاعسها عن مواجهة أسئلة مهمة ومطروحة تتعلق بواقع المرأة وتحولات تجاربها وجسدها، تساعدنا على تفكيك النص والخطاب الذي يحمل توجهات جنسية شاذة وغريبة ولافتة للإنتباه، ولاسيما أن ثمة مجموعة من النصوص الروائية والقصصية تحمل توجهات جنسية غريبة، مثل: الشذوذ والسحاقية واللوطية والمثلية، ومن ثم تحتاج هذه الظواهر الشاذة إلى غربلتها ودراستها، فلا بأس من معرفة النظريات الجنسية في مجال النقد والأدب لا سيما في زمن العولمة .

وفي الأخير نقول إن النصوص الروائية للكاتبات المغربيات جاءت فسيفساء، تقدم كل قطعة منها قضية من قضايا مجتمعاتهن لتشكل في الأخير لوحة للمجتمع المغاربي بتنوع أقطاره وتعدّد خصوصياته التي تختلف لكنها تتقاطع فيما بينها في كثير من التفاصيل التي ترسم خارطة القطر المغاربي، وتصور في المقابل القضايا العولمية الدخيلة على المجتمع المغاربي، وتداعياتها على الصعيد الأسري والصعيد الاجتماعي، ووصولها للحياة الشخصية والنفسية للفرد المغاربي.

هوامش:

[1]_ حسين على الفلاحي، العولمة الجديدة أبعادها وانعكاساتها، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص21.

[2]_ محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العربي المعاصر، العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1997، ص135.

[3]_ محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص136.

[4]_ بو شوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس،ط1999،1.

[5]_ رشا ناصر العلي، الأبعاد الثقافية للسرديات النسوية المعاصرة في الوطن العربي (1990_2005)، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب ، إشراف محمد عبد المطلب، ثناء أنس الوجود، جامعة عين شمس كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، القاهرة، مصر ، 2009، ص317.

[6]_ مالك الشبل، الجنس والحريم، روح السراري، السلوكات الجنسية المهمشة غي المغرب الكبير، تر: عبد الله زوار، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص 49.

[*]**المخنث**: تندرج شخصية المخنث ضمن نظرية الشواذ في النقد الثقافي ويدل هذا المصطلح على الشواذ، والشاذ هنا هو الشخص الشاذ جنسيا والعاجز عن ممارسة الجنس بشكل طبيعي، وقد ظهرت هذه النظرية و انتعشت بفعل العولمة وراحت تدافع عن الميولات الجنسية المقموعة والمكبوتة كاللوطي والمخنث والمثلي ، والعناية بحقوقها والإنصات إلى طلبات الأقليات المهمشة اجتماعيا ولغويا وثقافيا وجنسياً، و قد أدرجت ضمن النظريات الأدبية والنقدية التي لاقت انتعاشا صريحا في زمن العولمة: وتكمن مساهمة نظرية الشذوذ في الدراسات الثقافية والأدبية في تركيزها على الحياة الجنسية بكونها الفئة الرابعة في التحليل بالإضافة إلى العرق ونوع الجنس والطبقة، وفي إصرارها على أن الحياة الجنسية ونوع الجنس لا يمكن فصلهما بشكل جيد وهذا ما ذهب إليه ديفيد كارتر، في كتابة النظرية الأدبية في الصفحة139. وضمن هذه النظرية نجد المخنث: عرف ابن منظور في " لسان العرب" "الخنثى" بالكائن الفاقد لأعضاء الذكر وأعضاء الأنثى على السواء، أما المتصور الذي يهيمن على "المعجم الوسيط" فلا يكرس فكرة النقص بل الانتساب المزدوج، إن الخنثى هو المتعلق بالجنسين معاً، ما أن يولد البشر حتى يصنفوا ذكوراً أو إناثا وفقا لتكوينهم الجسدي، في ظل ثنائية جنسية بديهية تبدو التعبير الطبيعي عن الحتمية الوراثية عند الغالبية، فالخلق قائم على ثنائية الذكر والأنثى، وهو نظام يسير عليه الكون والكينونة البشرية والحيوانية وما بين هذه الثنائية الخالدة، تظهر حالات لا هي بالذكر ولا بالأنثى تعرف بالخنثى.

[7]_ ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 136. نقلا عن ورديث ريسبلير حاييم، الكرمل، أبحاث في اللغة والآداب، العددان 18_19، 1997_1998، ص 165_ 178.

[8]_ بوشوشة بوجمعة، الرواية التونسية المعاصرة، شعرية السرد وفتنة المتخيل، المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، ط1، 2010، ص26.

[9]_ مالك الشبل، الجنس والحريم، روح السراري، السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير،المرجع السابق، ص49.

[10]_ مسعودة أبوبكر، طرشقانة، دار سحر للنشر، تونس، ط2، 2006، ص116.

[11]_ عبد الصمد الديالمي، سوسيولوجيا الجنسانية العربية ، ص17.

[12]_ المرجع نفسه، ص17.

[13]_ سمير خليل، فضاءات في النقد الثقافي، . ص241.

[14]_ مسعودة أبوبكر، طرشقانة، المصدر السابق، ص42.

[15]_ مسعودة أبوبكر، طرشقانة، نفسه، ص9.

[16]_ ينظر: محمود الضبع، الممنوع والمحرم في الرواية الجديدة، الجسدي نموذجا، مستلة من أعمال المؤتمر الدولي الثالث، السرد النسوي في الأدب العربي الحديث، مارس 2010، جامعة قناة السويس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجمعية المصرية للدراسات السردية، ص657.

[17]_ مسعودة أبوبكر، طرشقانة (رواية)، ص57.

[18]_ مسعودة أبو بكر، طرشقانة، ص57.

[19]_أمينة حماني، الجسد الأنثوي بين الطرح الروائي والتأويل السيميائي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد09، عدد3، سنة 2020، ص102.

[20]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، الدار البيضاء المغرب، 2010، ص28.

[21]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص28.

[22]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص28.

[23]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص28.

[24]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص28.

[25]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص29.

[26]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص29.

[27]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص28.

[28]_فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص28.

[29]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص30.

[30]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص30.

[31]_ فاتحة مرشيد، لحظات لا غير، ص31.

[32]_ فتيحة مرشيد، لحظات لا غير، ص32.

[33]_ فاتحة مرشيد، رواية مخالب المتعة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، الدار البيضاء المغرب، 2010، ص25.

[34]_فاتحة مرشيد، رواية مخالب المتعة، ص38.

[35]_فاتحة مرشيد، رواية مخالب المتعة، ص17.

[36]_ فاتحة مرشيد،مخالب المتعة، ص18.

[37]_ تباني، صليحة ، سعيد تومي ، نسقية الأنثى في ثقافة الآخر الجنوبي بين سلطة العقل ورغبة الجسد، مجلة المدونة، المجلد 07، العدد 1، جوان 2020، ص 41.